النقد الثقافي مظلة الهامش

Cultural Criticism in Regard to the margin

الدكتورة/ سلمى أوكسل

قسم اللغة والأدب العربي- جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي (الجزائر)

selmaselmamaster@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2024/04/01 تاريخ القبول: 2024/07/14 تاريخ النشر: 2024/09/15

ملخص: يسعى النقد الثقافي إلى مقاربة النص الأدبي مقاربة ثقافية بعد وضعه داخل سياقه الذي يشكل ميلاده باعتبار النص حادثة ثقافية، ومن ثمة فهو لا يتعامل مع النصوص على أنها مجموعة من التصنيفات الشكلية فحسب، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس جملة من السياقات، والجديد في النقد الثقافي هو تغيير النظرة إلى الثقافة من خلال توسيع مجال الاهتمام بها، فتفحص الثقافة الشعبية كما النخبوية للتأكيد على ضرورة التعدد الثقافي، مما أتاح الفرصة للهامش ليصبح من أبرز طروحات النقد الثقافي، لذلك يحاول البحث إبراز إسهامات المهتمين بالدراسات الثقافية في الاحتفاء به.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي؛ ثقافة الهامش؛ الحداثة؛ ما بعد الحداثة؛ السياقات الثقافية.

Abstract:

Cultural criticism aims to approach the literary text culturally after putting it within its context of origin, viewing the text as a cultural event. As a result, it does not regard texts solely as a set of formal classifications, but rather as implicit cultural patterns reflecting a variety of contexts. The new within cultural criticism is altering people's perceptions of culture by broadening their interest in it, therefore it examines popular culture as well as elitism to highlight the significance of cultural multiculturalism. As a result, this study attempts to highlight the contributions of those interested in cultural studies in this regard.

keywords: Cultural criticism; margin culture; Modernism; Post-modernism; Cultural contexts.

مقدمة:

عرف الخطاب النقدي وهو يقارب النصوص الأدبية مراحل وتطورات ساهمت في تشكيله وتطوره، ويمكن القول إن النص الأدبي مر بمحنة في مسيرته"فأُخذ بشكله وأُهمل معناه، وتارة انغلق على نفسه وأخرى انفتح، فالبنيوية أقفلت النصوص على نفسها وجرّدتها من السياق الخارجي حابسة المعنى في لغته، وعلى يد التفكيكية ونظرية التلقي تشظى النص، وغاب المعنى وانفصلت العلاقة بين الدال والمدلول، فكان العمل الأدبي يتردد بين اختناق وتشظ."[1] وفي مرحلة تالية رُبط النص بالملابسات الخارجية التي ساعدت على تشكّله"فالوجود الأنطولوجي للنص الأدبي لا يمكن رده إلى نسق واحد بسيط هو (اللغة)، فالنص الأدبي يوجد بوصفه ظاهرة تاريخية في نقطة تتلاحم فيها الأنساق والسياقات المتنوعة؛ إذ يمكن عد النص الأدبي ظاهرة مركبة تمتد جذورها إلى عدد كبير ومتداخل ومتناقض من المرجعيات، التي بات من الضروري أن نحاول فهم الجذور والأنساق والسياقات التي نشأ داخلها النص."[2]

تتجلى المقاربة الثقافية للنص الأدبي بوصفه مادة ثقافية لا جمالية محضة مع مجموعة برمنجهام 1964 التي كسرت مركزية النص، ولم تعد تنظر إليه بوصفه نصا منغلقا إنما صارت تقاربه من خلال ما يتحقق فيه من أنظمة ثقافية، وظهر اصطلاح النقد الثقافي مع الناقد الأمريكي فنسنت ب ليتش (Vincent B leitch) مركزا عنايته على"الخطاب بما أنه خطاب، متجاوزا كل القوانين والقواعد النصية في مقاربة النص الأدبي من حيث الانتقال من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي، ومبتعدا عن لسانية النص وسجنه اللغوي إلى الجمل والدوال الثقافية وسياقاتها الثقافية، مركزا على العناصر الثقافية في مقاربة النص من خلال الانزياح عن الأطر الجمالية في النص، ومنفتحا على الخطاب بكل أنواعه مما دفع الناقد الثقافي إلى البحث والكشف عن الأنظمة الإفصاحية للنصوص من حيث المضمرات الأيديولوجية والثقافية."[3]

إن النقد الثقافي من الحركات المنفتحة على فضاءات معرفية كثيرة من خلال تكوينه لجسر تلاقي مع العلوم بتفرعاتها المختلفة، فتعالق مع تخصصات مجاورة و بعيدة وهو يعالج الظواهر الأدبية، بالحفر فيما وراء النص للكشف عن الأنساق المتوارية فيه ليستفيد من"مناهج العلوم الإنسانية، حيث قراءة النصوص قراءة تتضمن مفهوم البنية، أي قراءة البنيات السطحية الظاهرية للنص، والبنيات العميقة لتكشف المسكوت عنه، وتفسير الدلالات وتأويلها في إطار لا يجعل النص مجرد مجموعة من التصنيفات الشكلية، أي أن النقد الثقافي يقرأ تحولات النص باتجاه المجتمع الثقافي الذي أنتجه في زمان ومكان معينين، ومدى انطلاقه وحركته نحو الانفتاح على العالم أو الانغلاق على نفسه."[4] فشكل بذلك نشاطا بينيا متجاوزا عزلة التخصصات وانغلاق

العلوم، واستجاب لدعوة تفعيل التفكير البيني في حقل الدراسات النقدية بالانفتاح على مختلف الحقول المعرفية لمعالجة الظواهر الأدبية.

ولم يكن النقد الثقافي وليد العدم بل نقطة تحول لبيانات ما بعد الحداثة، التي جاءت كردة فعل على معطيات الحداثة"ويشير مصطلح ما بعد الحداثة إلى الهجوم على الفن المؤسساتي والذوق النقدي التقليدي، وإزالة الحدود بين الفن والحياة اليومية، وإذابة التمييز التراتبي بين الثقافة الشعبية والثقافة الرفيعة، و أول من استعمل هذا الاصطلاح فدريكو دي أونيس(fedrico de onis)في الثلاثينيات ردا على الحداثة، وشاع المفهوم في نيويورك في الستينيات حيث استعمل من الكتاب والنقاد والفنانين ليشيروا إلى حركة تتجاوز الحداثة المرفوضة بسبب تمجيدها المؤسساتي."[5]

لقد وضعت ما بعد الحداثة كل منجزات الحداثة موضع الشك والمساءلة، فكان هدفها تحطيم التخوم بين الثقافة الرسمية والشعبية، وبما أن النقد الثقافي أحد أهم تياراتها الفكرية فقد اتجه إلى دراسة كل ما هو هامشي، وأصبحت هذه الهوية أي الهامش من أهم طروحاته فسعى إلى تحقيق"الاعتراف عن طريق الاحتفاء بهوية تشكلت في هذه العوالم الموازية، ومن ثمة موضعتها في شكل من المساءلة حول موقع الذات، في عالم مهووس بالقوة، حول الهوية، حول المصير، ثم حول التشكل والوجود."[6]

وتهدف دراستنا إلى الوقوف عند دواعي و مفاهيم مصطلح الهامش باعتباره مصطلحا ناشئا احتضنته الكثير من الاتجاهات الفكرية، خاصة اتجاه ما بعد الحداثة وبالتحديد النقد الثقافي، وهو يبحث في النصوص الأدبية بالحفر والتنقيب عما يندسّ فيها من أنساق وسياقات لكشف خطابات الهيمنة فبرز معه المصطلح بشكل ملحوظ، لذلك سنرصد وضعياته وحضوره عند أبرز مثقفي هذا الاتجاه، وتبعا لهذه الرؤية يطرح البحث إشكالاته: كيف كانت إسهامات النقد الثقافي باعتباره ملمحا أساسيا من ملامح تطوير المفاهيم النقدية، بما يحمله من إبدالات جديدة لمساءلة الخطاب الأدبي في الاهتمام بثقافة الهامش، وما هي جهود الفلاسفة والباحثين في تمثيل كل ما هو هامشي ومقصى؟

1-الهامش....في المفهوم والمصطلح:

يُجمع النقاد على أن مصطلح الهامش من المفاهيم المعاصرة التي ظهرت على أيدي عدد من المفكرين الأوروبيين أساسا"إبان القرن التاسع عشر، ولا سيما لدى أصحاب مدرسة التبعية التي شهدت مولدها بأمريكا الجنوبية في الستينات من القرن المنصرم، ومن شايعها من المتخصصين في عدد من الأقطار التابعة لما دعي بالعالم الثالث...ومنهم من ينسب المصطلح إلى كارل ماركس(Karl

Marx) في تنظيره للعلاقة القائمة بين البادية والمدينة، وقد يعزوه غيرهم إلى ورنر سومبار(Werner Sombart)(1902)صاحب كتاب(الرأسمالية المعاصرة)، أو إلى نيكولاي إيفانوفيتش بوخارين(Nikolaï Ivanovich Boukharine)، أو إلى راؤول بربيش(Raul przbisch)(1949) الاقتصادي الأرجنتيني الذي كان أول سكرتير تنفيذي للجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية للأمم المتحدة."[7]

وإذا حاولنا تقصي مفهوم الهامش كما هو شائع في الأوساط الفكرية المعاصرة فإننا نقف أمام إسهامات فلسفية ذات نزعة إنسانية، من قبيل"ميشيل فوكو، و بيير بورديو، وإدوارد سعيد وجوليا كريستفيا، وغيرهم من المفكرين الإنسانيين ممن بحثوا في صور الإقصاء والتهميش والعزل الإنساني، ففوكو بحث في المرضى والمجانين والنساء كعناصر معزولة عن المجتمع وتبرهن على هوية أخرى لمركز المجتمع، ويأتي إدوارد سعيد ويكون نسقا مختلفا ومغايرا تحاربه وتهمّشه المؤسسة السياسية والثقافية الغربية، لرميه حجرا معرفيا يحرك مياه الفكر الاستعماري الراكدة والثابتة، بينما نجد بيير بورديو يصور حالات المعزولين من المهاجرين الجزائريين في أحد الأحياء الفرنسية الفقيرة في كتابه بؤس العالم، وتأتي سبيفاك لتتحدث عن النساء الهنديات المعزولات بوصفهن مدلولا (أي مفعولا به) وليس دالا (فاعلا نشطا)، في كتابها هل يستطيع الثانوي أن يتحدث؟ لتكشف عن حق النساء المهمشات والمحرومات من حق الكلام."[8]

يتضح التهميش كفعل عنصري بالمعنى المستدل عليه من توجهات الفلاسفة فالمهمش"هو اسم مفعول من الفعل همّش، وهو صيغة توحي بوقوع الفعل على المفعول به، وكما هو معلوم في قاموس الصرف العربي فإن صيغة الفعل فعَّل توحي بمعنى القصدية والتخطيط سلفا لبلوغ هدف ما."[9] نفهم مما تقدم أن التهميش هو مفعول به وقع عليه فعل الفاعل أي المهمش الذي قام بفعل الإبعاد، فلا وجود لمهمَّش دون مهمش فالتسليم بوجود ذات مهمشة يفترض سلفا"وجود من قام بفعل التهميش، ومن المعلوم أن القائم بفعل التهميش يمتلك القدرة على إنجازه والقيام به يعني أن المهمش صاحب سلطة ونفوذ، وحائز على كل الآليات التي من شأنها أن تحّول المفعول به إلى ذات خاضعة وسلبية، بل فاقدة لكل قدرة على تحويل موازين القوى لمصلحتها، فالعلاقة إذن بين الطرفين قائمة على الصراع والسيطرة."[10]

والهامشي كما وصفه شرف الدين ما جدولين"هو الإنسان المقصي عن دائرة الاهتمام والمنبوذ في عرف الأخلاق، و المقموع من قبل مؤسسات المجتمع، والعقل، والعقيدة، والسلطة."[11] وقد اتسع مفهوم الهامش ليشمل المنجز الإنساني ككل، ففي الحقل الاجتماعي تستخدم لفظة الهامش لتدل على"الفرد أو جماعة اجتماعية معزولة عن المجتمع، أو الثقافة المهيمنة مقصية من

البؤرة المركزية وذلك بوضعها على حافة المجتمع أو تخومه، وغالبا ما صار يطلق على الأقليات والجماعات الصغيرة في المجتمع بأنها هامشية."[12]

وعلى العموم فإن الهامش في جوهره عملية إقصائية تستهدف إقصاء طرف لطرف آخر وحرمانه من كافة حقوقه، وطمس ثقافته وتراثه تمهيدا لمحو هويته أو إذابتها في هوية الذات المهمشة، ويمكن القول أن عملية التهميش تتم بتواجد ثلاثة عناصر هي كالآتي"

1-الذات المهمشة(المركز)التي تقوم بعملية التهميش والإقصاء، وهي غالبا ما تمثل السلطة الحاكمة التي تتحكم في رقاب شعب مضطهد، وتعتمد في حكمها على مبدأ القوة والغلبة.

2-الآخر المهمش(الهامش)الذي يكون ضحية التهميش ويتشكل غالبا من العنصر الأضعف في حلقة التهميش، كأن يمثل أقلية أو أغلبية تخضع لقوة غالبة ومتفوقة.

3-موضوع التهميش المستهدف والذي غالبا ما يتجسد في الهوية والثقافة."[13]

والهامشية قد تكون فعل إرادي واختيار شخصي يتبناه الفرد مخالفا به النظام السائد يراه يتعارض مع مبادئه وقيمه، فيفضل الخروج كما هو الحال مع مجتمع الصعاليك في عصر ما قبل الإسلام، وقد تكون قسرية ومسلطة تنشأ نتيجة دوافع عديدة نذكر منها"

1-عقدة الاستعلاء العرقي وهي نظرية تقوم على وهم التفوق العرقي، باعتبار الذات المهمّشة العنصر الإثني الأفضل و ما دونها يدخل في عداد الشعوب المتخلفة.

2-الغلبة وهي المبدأ الذي يحيل على مبدأ القوة كوسيلة وأداة لتهميش الشعوب المستضعفة، وقد تتخذ القوة في هذا المجال تمثّلات متنوعة، كالقوة العسكرية، أو التكنولوجية أو الإعلامية وغيرها من الأشكال التي تستطيع من خلالها السيطرة على الذات المهمّشة.

3-المركزية والتفوق الحضاري وهي النظرية التي تحيل على المركزية الأوروبية التي كانت ترى في ذاتها مركز العقل والحضارة وأن ما دونها شعوب متخلفة غير ناضجة، ومن ثم فإنها مسؤولة عن حمايتها."[14] إن هذا القول لا يمكن فصله عن اقتناع راسخ لدى الإنسان الغربي بالشعور بالعظمة واعتبار الآخر مجرد شبح بات يهدد كيانه، أو ما يسمى في لغة لوسيان ليفي برول"المجتمعات البدائية غير الرشيدة"[15] لذلك تلبست حملاته العسكرية بتبريرات تحديثية للمجتمعات الدنيا، لكن هذا النفوذ يضمر في ثناياه رغبة في الاستحواذ على الثروات.

وما يمكن تأكيده أن عملية التهميش ليست كشف الحاضر، فقد وُجد لثنائية المركز والهامش نظيرين في الكتابات القديمة ورد ذكرها في كتاب الأذكياء لابن الجوزي، وهما مصطلحا"العامة والخاصة فالمركز يعني خواص الناس ويحمل مفاهيم القرب، والصفوة، والتفوق، والتنزيه، والسلطة، وامتلاك الحقائق والأسرار الخفية، والقلة مع القيمة، و النفاسة

والنظام، والصرامة والمنتسبون إليه: الحكماء، الخلفاء، الوزراء، السلاطين، أما الهامش فهو عامة الناس وهو اللهو، و المجون، والفوضى، والنقص، والضعف، والشذوذ، و الكثرة مع قلة الجدوى والجهل وانعدام الرأي ونجد فيه اللص، المحتال، الماجن، الخليع، المخنث، الطفيلي..."[16]

انطلاقا مما سبق يمكن تمثيل علاقة المركز بالهامش"عبر علاقة اللون بالظل، والكلام بالصمت، ففي العلاقتين تلازم إشكالي، فلا بزوغ للون بغياب الظل، كما أن لا أثر لكلام بلا صمت بالطبع ثمة إيجاد كامل بانعدام التكافؤ، وتأكيد للهيمنة"[17] فهذا الوصف تأكيد لثنائية المركز والهامش وهو ما توحي إليه دوال الظل، والصمت، والغياب التي تقترن بالهامش، أما دوال اللون، و الكلام، و الحضور فترتبط بالمركز.

2-النقد الثقافي وقضايا الهامش:

اتجه النقد الثقافي إلى دراسة كل ما هو هامشي والجديد في هذا التوجه"هو رفع الحواجز بين التخصصات والمستويات في الممارسات الإنسانية، لأنها تنتمي جميعا إلى الثقافة التي هي مجمل صنيع الإنسان، ومن ثم ينكر النقد الثقافي التفرقة التقليدية المألوفة بين البناء التحتي والبناء الفوقي."[18] وبذلك غيّر النقد الثقافي النظرة إلى مصطلح الثقافة بمعنى أوسع، فلم يهتم بالثقافة النخبوية فحسب، إنما اتسعت هذه الثقافة لتشمل كلا من العظيم، والوضيع، والصفوة، والعامة، والمقدس، والمدنس فكانت نظرته شمولية واسعة لأن كل الأنشطة هي موضوع نقاش سواء المهمل منها أو المهتم به.

2-1-الهامش من منظور ميشال فوكو:

يرى بعض النقاد أن طروحات ميشيل فوكو (Michel Foucault)هي من"نقل مفهوم التهميش من الحقل الاجتماعي إلى حقل اللغة، من خلال تركيزه على خطاب التمثيل وآليات الإلغاء والإقصاء، التي يتضمنها كل خطاب بصورة غير معلنة، في مقابل ما يحاول إثباته ليفتح الباب واسعا للبحث في المسكوت عنه."[19]

ولكي يكشف فوكو عن الخطاب القمعي الكامن في المجتمع فإنه حاول"أن يقارب حفرياته المعرفية في أشكال مهمشة وهامشية في المجتمع، لقد تتبع في حفرياته أشياء وأحداث وعبارات تعامل معها المجتمع بوصفها ممارسات الحقيقة والمعرفة والسلطة، التي تتخذ من الملفوظات الخطابية سلطة، وقمعا، ومنعا، وإقصاء، وإسكاتا، وإعداما، من خلال تحليله وتفكيكه لنظام التابوهات أو أقانيم المجتمع المقدسة العقل، والجنس، والدين، التي تمثلت في كتبه التي انطلقت من فضاء الجنون، والعقاب، والجنس، والحقيقة، والسلطة والمعرفة، وموت الإنسان."[20]

2-2-الهامش من منظور جاك ديريدا:

أما الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا(Jacques Derrida)فالهامش عنده هو"الأصل الذي يزاحم النص الفوقي والاستعلائي لينافسه أو يسلب منه مصداقيته، لذا جعل جاك ديريدا من أصله هامشا ثم راح يكتب سيرته الهامشية في المساحات السفلية، بعد أن تخلى عن النص الفوقي والتفكيك(Déconstruction) هو الاسم الذي يطلق على الطريقة النقدية التي جاء بها ديريدا، و رأى أنه بواسطتها يتم تقويض ما ينطوي عليه الفكر الغربي من تقابلات ثنائية: كالمرأة/الرجل المقبول/اللامقبول، الحقيقة/الزيف، المعنى/اللامعنى، العقل/الجنون، السطح/العمق."[21]

2-3-الهامش من منظور رواد ما بعد الكولونيالية:

وفي سياق الاهتمام بالمهمش دائما يأتي الثالوث المقدس للنظرية ما بعد الكولونيالية فمع إدوارد سعيد(Edward said)ظهر كتاب الاستشراق ليشكل ثورة حقيقية، حيث يجسد تلك النظرية الاستعلائية للغرب على الشرق، إن الخطاب الاستشراقي كما كشفه إدوارد سعيد قد"ساهم في قولبة الشرق وفق تنميطات مازالت حية إلى عصرنا هذا، فالشرقي يدخل رغما عنه في ترتيبية استشراقية ذات طابع ثنائي(الشرقي مخاتل والغربي فاضل، فالشرقي كسول والغربي نشيط، الشرقي شبقي والغربي معتدل...)الغاية منها بناء عالم منقسم وفق تقاطب مزدوج يرمي الشرقي في حقل دلالي احتقاري، ولا معقول، والغربي في حقل دلالي يصنع التفوق والتفاضلية."[22]

ويمثل هومي بابا (Homi Bhabha)أحد أبرز المفكرين المؤثرين في مجال دراسات ما بعد الكولونيالية، وقد سعى إلى مناهضة الوجود الاستعماري واشتهر أكثر بعد طرحه لمصطلح الهجنة الذي أحدث"قفزات كبيرة على المستوى المفرداتي للدراسات الثقافية خلال سنوات 1990 في سياق المناقشات حول العولمة، وثقافات الشتات، وما بعد الاستعمارية، وهو في جوهره عملية تنطوي على المزج معا لعناصر ثقافية منفصلة آنفا لخلق معاني وهويات جديدة، وفي الواقع لعب مفهوم الهجنة دورا بارزا في زعزعة فكرة الثقافة الثابتة، التي تمتلك مواقع آمنة تنأى بها عن أي تغير، لأن الهجن زعزعت استقرار الحدود الثقافية وطمستها من خلال صهر وتمزيج."[23] فمصطلح الهجنة تفنيد لمقولة الميثولوجيا البيضاء والنقاء العرقي، التي آمن بها الغرب وروّج لها ونظريته هذه هي دعوة إلى فتح فضاء جديد فضاء التعدد، والتنوع، والحوار، وقبول الاختلاف.

أما غياتري سبيفاك(Gayatri spivak) باعتبارها أحد الأسماء اللامعة في هذه النظرية، فقد اكتسبت شهرة عالمية بمقالها هل "يستطيع التابع أن يتكلم؟"can the subaltern speak" وطرحت فيه قضايا هي من صميم الخطاب ما بعد الكولونيالي تتصدرها تيمة التابع؛ إذ تطرح أسئلة التبعية بكل أنواعها من بينها تبعية المرأة للرجل التي تؤسس لثنائية المركز والهامش، ففي حديثها تطرقت إلى وضع النساء الهنديات خصوصا نساء sati، و الساتي هو طقس مقدس في المجتمع

الهندوسي حيث تقوم فيه المرأة الهندية بحرق نفسها بعد وفاة زوجها تعبيرا عن وفائها له، وتقرر سبيفاك من خلال مقالها أنه يستحيل علينا استرداد صوت التابع، وتلتفت سبيفاك إلى نقاشات الاستعمار حول حرق الأرملة في الهند، لتوضح فكرة أن أعمال الاستعمار والنظام الأبوي المشتركة تجعل من الصعب جدا على التابع الإفصاح عن وجهة نظره، تقرأ سبيفاك هذا الغياب كرمز لصعوبة استرداد صوت الفرد المقهور، وبرهان على أنه لا يوجد مجال يمكن للمرء التابع أن يتحدث منه."[24] لكنها تعوّل على المثقف العضوي كما اقترحه أنطونيو غرامشي ليمثل التابع.

2-4-الهامش من منظورعبد الله الغذامي:

ويأتي الناقد عبد الله الغذامي في سياق محاولاته الرامية للحد من درجات التغييب والإقصاء الذي يمارسه المركز على الهامش، وهو ما تكشفه مؤلفاته المختلفة (المرأة واللغة)و(تأنيث القصيدة والقارئ المختلف)، التي يدين الثقافة التي جعلت المرأة مجرد ملحق أو ذيل لأنظمة أبوية حددت وظائفها وقننت أدوارها، وانحازت في المقابل للرجل وأعطته سلطة الفكر واللغة والثقافة، ويشكل النسق في مشروعه عنصرا مركزيا ومحورا فاعلا يعوّل عليه في كشف خبايا الخطاب، قد وضع الغذامي شروطا للنسق المضمر وهي كالتالي"نسق ثقافي أزلي راسخ، يحظى بقبول جماهيري، وعلامته اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج المنطوي على النسق، وقد يكون المنتوج أغنية أو نكتة أو حكاية."[25]و الأنساق المضمرة تقارب"البنى الشعورية وهو اصطلاح نحته ريموند وليامز، وهي بنى قائمة في الوعي الجمعي ومؤثرة فيه تسبق التكوينات الأيديولوجية وتتنامى بصورة لا واعية وتنعكس في الفنون والآداب."[26]

وانفتح توجه الغذامي على النقد النسوي الذي ظهر في العالم الغربي كخطاب منظم في الستينيات 1960واعتمد على حركات تحرير المرأة، التي طالبت بحقوقها المشروعة في العالم الغربي وتعد"فرجينيا وولف من رائدات حركة هذا النقد، حينما اتهمت العالم الغربي بأنه مجتمع أبوي منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية، إضافة إلى حرمانها اقتصاديا وثقافيا، أما في فرنسا فقد تزعمت الحركة سيمون دي بوفوار، حينما أصرت على أن تعريف المرأة وهويتها تنبع دائما من ارتباط المرأة بالرجل، فتصبح المرأة آخر موضوعا ومادة تتسم بالسلبية، بينما يكون الرجل ذاتا سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية."[27]

ومع ظهور النقد الثقافي الذي يحاول في تعامله مع النصوص الكشف عن القبحيات التي أصابت البنية الثقافية، فإن خطاب المرأة الذي يحضر فيه المضمر والعلني كشف لنا"صراع طبقتين داخل المجتمع، طبقة تمارس سيطرتها وهيمنتها ممثلة في المؤسسات كل ألوانها وأطيافها وطبقة تعارض هذه الهيمنة وتقاومها وتفضح خطابها التهميشي، وهذا ما تسعى إليه الدراسات

الثقافية من خلال الوقوف على التفاعل داخل الفعل الثقافي."[28]من خلال علاقة المرأة بذاتها وبالرجل، والعالم المحيط بها، للكشف عن الأثر الثقافي في الخطابات النسوية والذكورية مع تحديد مواطن الإقصاء أو الهيمنة والسلطة فيها.

2-5-الهامش من منظور محمد لطفي اليوسفي:

وفي سياق الاهتمام بضروب كثيرة من الآداب المهمشة بما أنها آداب فاعلة تم تصنيفها خارج الأدب الرسمي منها"**ما يتعلق بالشكل الخطابي:** وهي تلك الأنواع التي عدّت هامشية بالنظر إلى جنسها التعبيري كالحكايات العجيبة، والخرافات، والسير الشعبية، في مقابل الشعر والخطابة اللذان اعتبرا أدبا رفيعا، منها **ما يتعلق بالمضمون الخطابي:** وهي تلك التي تكمن هامشيتها بالنظر إلى ما تصوره من عوالم سفلية للمنبوذين والخارجين مثل قصص الشطار، ونوادر الحمقى، وأخبار اللصوص، وذوي العاهات والشواذ، منها **ما يتعلق بالكتاب الهامشيين:** وهو الأدب الذي كتبه هامشيون في التراث العربي فأقصي من هذا المنطلق: كأدب القرامطة، والباطنية، والزنادقة."[29]ودعا الدكتور محمد لطفي اليوسفي إلى قراءة مختلفة لنظرية القدامى في الشعر والشعرية وأدبية النص، وإلى الكشف عما استبعدوه وأهملوه ولم يفكروا فيه لكونه لا يتماشى مع موقفهم من النصوص منها يقول: "لقدت تعمدت نظرية القدامى السكوت على جانب مهم من النصوص الإبداعية، فهمشته وأقصته من ذلك مثلا النصوص الصوفية، والنصوص الإباحية والسير والحكايات الشعبية، والنصوص التي عنيت بمناقب الأولياء، وهي نصوص ذات طابع انشقاقي، جاءت تكرس قيما تتغاير مع قيم الجماعة وتمضي بالتعارض بين أنماط الخطاب الجمالي، والأخلاقي، والديني إلى حدودها القصوى."[30]

خاتمة:

مما سبق ذكره في هذا الفضاء البحثي الذي عنون بالنقد الثقافي مظلة الهامش والذي قادنا إلى البحث في مصطلح الهامش، ومن ثمة تسليط الضوء على المقاربات الجديدة له مع النقد الثقافي قد تبيّنت لنا جملة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

- تم تمثيل الهامش خير تمثيل مع تيارات ما بعد الحداثة التي جاءت كرد فعل على الحداثة خاصة في اتهامها بالمركزية، وبما أن النقد الثقافي أحد اتجاهاتها فقد تبنى مشروعها.

- سعى النقد الثقافي إلى مقاربة النص الأدبي مقاربة ثقافية بعد وضعه داخل سياقه باعتبار النص حادثة ثقافية، ومن ثمة فهو لا يتعامل مع النصوص على أنها مجموعة من التصنيفات الشكلية فحسب، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس جملة من السياقات.

-أتاح الكشف عن المخبوء وراء الجمالي الفرصة للاهتمام بالهامش، وقد تبين أن هذا المصطلح حديث من ناحية التسمية قديم من ناحية الممارسة، ويظهر ذلك إذا ما حررناه من لفظه وأبقينا على معانيه، ليتضح أن ثقافة المركز والهامش متواجدة على مر الأزمان تختلف فقط الألفاظ والمسميات.

-شكلت ثقافة الهامش سؤالا مركزيا في خطاب النقد الثقافي وهو يتقصى المهمل والمقصى، والمختلف، والعرضي، واليومي، والشعبي، للتأكيد على ثقافة التعدد والتنوع، وهو ما وجدناه في توجهات المهتمين بقضايا الهامش: ميشال فوكو، جاك ديريدا، إدوارد سعيد، سبيفاك و هومي بابا، عبد الله الغذامي، محمد لطفي اليوسفي وغيرهم كثر.

-الهوامش:

[1]:محمد العبيدي، المركزي والمهمش في عصري الطوائف والمرابطين، دار غيداء للنشر، عمان، ط1، 2018،ص45.

[2]:محمد خليف خيضر الحياني، السلطة والهامش إستراتيجية النقد الثقافي في مقاربة المتخيل الأدبي، دار الحامد عمان، ط1، 2016، ص29.

[3]:المرجع نفسه،ص31-32.

[4]:عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، الصايل للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص10.

[5]: محمد العبيدي، المركزي والمهمش في عصري الطوائف والمرابطين، ص40-41.

[6]:المرجع نفسه، ص14.

[7]:أحمد المطيلي، ابن خلدون ونظرية المركز والأطراف، مجلة يتفكرون ملف الهجرة وسياسات الضيافة، الرباط ع11،2017 ، ص199.

[8]:سعاد العنزي، المهمشون في الأدب، تاريخ النشر2013/10/31، تاريخ الاطلاع2023/02/22mo9jword press

[9]:عمر الزعفوري، التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، م36،ع4، 2008، ص160.

[10]:المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[11]:شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص61.

[12]:محمد خليف خيضر الحياني، السلطة والهامش، ص24.

[13]:إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014، ص21.

[14]:المرجع نفسه، ص21-22.

[15]:محمد شوقي الزين، الذات والآخر تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط1، 2012، ص55.

[16]:مزار بن حسن، المركز والهامش أو الخاصة والعامة من خلال كتاب الأذكياء لابن الجوزي، مجلة الحياة الثقافية،ع160، 2004، ص50.

[17]:شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد الغربي، ص17.

[18]:صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، القاهرة، 2007، ص5.

[19]:حسن عطار الركابي، مركزة الهامش في رواية أصغر أكبر لمرتضى كراز، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية، م12،ع1، 2019، ص158.

[20]:محمد خليف خيضر الحياني، السلطة والهامش، ص25-26.

[21]:عبد اللطيف حمودي الطائي، نورس إبراهيم عبد الهادي، حفريات في ذاكرة المصطلح الهامشي أو المهمش أنموذجا، مجلة العميد، م5، 2017، ص257.

[22]:وحيد بن بوعزيز، جدل الثقافة مقالات في الآخرية والكولونيالية والديكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1 2018، ص19.

[23]:كريس باركر، قاموس الدراسات الثقافية، تر جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2018، ص375-376.

[24]:آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر، ط1 2007، ص233.

[25]:عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص79-80.

[26]:محمد العبيدي، المركزي والمهمش في عصري الطوائف والمرابطين، ص46-47.

[27]:ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المغرب، ط3، 2002، ص229-230.

[28]:فاطمة كدو، الخطاب النسائي ولغة الاختلاف مقاربة في الأنساق الثقافية، الأمان، الرباط، ص11.

[29]:شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، ص62-63.

[30]:هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيوثقافية، القاهرة، دار رؤية للنشر،القاهرة، ط1، 2015، ص5.

-قائمة المراجع:

1. إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014.
2. أحمد المطيلي، ابن خلدون ونظرية المركز والأطراف، مجلة يتفكرون ملف الهجرة وسياسات الضيافة، الرباط، ع11، 2017.

3. آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر محمد عبد الغني غنوم،دار الحوار للنشر، ط1، 2007.
4. حسن عطار الركابي، مركزة الهامش في رواية أصغر أكبر لمرتضى كراز، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية، م12، ع1.
5. سعاد العنزي، المهمشون في الأدب، تاريخ النشر2013/10/31، تاريخ الاطلاع2023/02/22 mo9jword press
6. شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2012.
7. صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، القاهرة، ط1، 2007.
8. عبد اللطيف حمودي الطائي، نورس إبراهيم عبد الهادي، حفريات في ذاكرة المصطلح الهامشي أو المهمش أنموذجا، مجلة العميد،العراق، م5،2017 .
9. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط2، 2005.
10. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن، الصايل للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.
11. عمر الزعفوري، التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، م36،ع4، 2008.
12. فاطمة كدو، الخطاب النسائي ولغة الاختلاف مقاربة في الأنساق الثقافية، دار الأمان، الرباط.
13. كريس باركر، قاموس الدراسات الثقافية، تر جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2018.
14. محمد العبيدي، المركزي والمهمش في عصري الطوائف والمرابطين، دار غيداء للنشر، عمان، ط1، 2018.
15. محمد خليف خيضر الحياني، السلطة والهامش إستراتيجية النقد الثقافي في مقاربة المتخيل الأدبي، دار الحامد، عمان، ط1، 2016.
16. محمد شوقي الزين، الذات والآخر تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.
17. مزار بن حسن، المركز والهامش أو الخاصة والعامة من خلال كتاب الأذكياء لابن الجوزي، مجلة الحياة الثقافية، ع160، 2004.
18. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضاء، ط3، 2002.
19. هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيوثقافية، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2015.
20. وحيد بن بوعزيز، جدل الثقافة مقالات في الآخرية والكولونيالية والديكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.